

من الأسطورة إلى الحقيقة الأثرية: تجربة هنريخ شليمان مع الإلياذة

From Myth to archaeological truth: Heinrich Schliemann's experience
with the Iliad

دعاس فارس

جامعة محمد لمين دباغين بسطيف 02 (الجزائر)، faresdaas3@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/11/10

تاريخ القبول: 2024/09/20

تاريخ الاستلام: 2024/05/21

ملخص:

يهدف هذا المقال لتسليط الضوء على تجربة مهمة لعالم الآثار الألماني هنريخ شليمان مع الملحمة الأدبية للشاعر الإغريقي هوميروس الموسومة بالإلياذة، وكيف استطاع هذا العالم أن يحقق فتحاً كبيراً في علم الآثار وأن يكتشف مدن وحضارات قديمة كانت قائمة بحد ذاتها، كل ذلك كان بفضل الإلياذة التي كانت مجرد ملحمة توضع في خانة الشعر الملحمي الأسطوري البعيد عن الحقيقة العلمية والتاريخية، وللتعمق أكثر في هذه التجربة استخدمنا المنهج التاريخي السردى بهدف تتبع السيرة الذاتية لهنريخ شليمان والمنهج الوصفي لتوصيف حيثيات أسطورة طروادة التي وردت في الإلياذة والمنهج التحليلي بهدف ربط ما جاء في الملحمة الشعرية وما اكتشفه الباحث، وفي الأخير وصلنا إلى نتيجة مفادها أن الأساطير التي وردت في النصوص الأدبية يمكن أن تحتوي على حقائق تاريخية وأثرية، وأن علم التاريخ وعلم الآثار هما علمان متكاملان لا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر.

كلمات مفتاحية: هنريخ شليمان؛ الإلياذة؛ علم الآثار؛ الأسطورة؛ حرب طروادة

Abstract:

This article aims to shed light on the important experience of the German archaeologist Heinrich Schliemann with the literary epic of the Greek poet Homer, called the Iliad, and find out how this researcher was able to achieve a major achievement in archaeology and discover ancient cities and civilizations, all of this was thanks to the Iliad, which was merely an epic classified as poetry far removed from scientific and historical truth, To delve deeper into this experience, we used the historical narrative method with the aim of tracing the biography of Heinrich Schliemann, the descriptive method, and the analytical method with the aim of linking what was stated in the Iliad and what the researcher discovered, Finally, we reached the conclusion that the myths can contain historical and archaeological facts, and that history and archeology are two complementary sciences.

Keywords: Heinrich Schliemann; the Iliad; archeology; Mythology; Trojan War

مقدمة:

تركز المناهج الحديثة في علم التاريخ على علمية المؤرخ، وذلك بالتحلي بالدقة والواقعية وتجنب المبالغة والابتعاد عن الخرافات والأساطير، وعدم التأثر بالعادات والتقاليد، واعتماد التعليل العقلي والمنطقي في تفسير الأحداث والوقائع التاريخية، ومن جهة أخرى قد يتحتم على المؤرخ خاصة في التاريخ القديم أن يتعامل مع النصوص الأدبية الكلاسيكية التي تعج بالمبالغات والمغالطات، وربما المصطلح الأصح أنها مليئة بالأساطير، هذه المفارقة دفعت الباحثين لطرح العديد من الإشكاليات: هل نستطيع الاعتماد على الأساطير كمصادر في البحث التاريخي؟ وهل تحمل الأساطير خلفها أي حقائق تاريخية؟ مع مرور الوقت تمت الإجابة عن هذه الإشكاليات وأثبت الباحثون أن الأساطير تعج بالحقائق مثلما تعج بالخرافات، وأضحى هناك علم خاص بها يسمى الميثولوجيا أو علم الأساطير، ومن هذا المنطلق راودتني إشكالية مهمة تتمحور حول العلاقة بين النصوص الأدبية الكلاسيكية والحقائق الأثرية، وبالتحديد حول العلاقة بين الأساطير والحقائق الأثرية، أو بتعبير آخر هل يمكننا أن نصل إلى حقائق أثرية بالاعتماد على الميثولوجيا التي وردت في النصوص الأدبية؟

يهدف هذا المقال إلى عرض تجربة أشهر الباحثين في علم الآثار الألماني هنريخ شليمان مع الملحمة الشعرية الإلياذة التي تحكي أسطورة حرب طروادة للشاعر الإغريقي هوميروس، ومن أجل الإجابة على الإشكالية الرئيسية والربط بين النص الأدبي والحقيقة الأثرية، وللتعمق أكثر في هذه التجربة استخدمنا المنهج التاريخي السردى بهدف تتبع السيرة الذاتية لهنريخ شليمان والمنهج الوصفي لتوصيف حيثيات أسطورة طروادة التي وردت في الإلياذة والمنهج التحليلي بهدف ربط ما جاء في الملحة الشعرية وما اكتشفه الباحث.

1. تعريف الأسطورة:

توجد العديد من التعريفات ووجهات النظر في المعنى الحقيقي للأسطورة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن كلمة الأسطورة لغتا مشتقة من كلمة سطر أو خط (ابن منصور، 1998، ص.363)، وذكرت في القرآن الكريم في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 25)، بمعنى ما سطره أو خطه الأولون من أكاذيب وأباطيل في كتبهم، أما المعنى الاصطلاحي فيعرفها أمين سلامة في كتابه الأساطير اليونانية والإغريقية على أنها رواية أعمال إله أو

كائن خارق أو تقصي حدث تاريخي خيالي، أو شرح عادة أو معتقد أو نظام أو حادثة طبيعية، أو حدث متعلق بالأجناس والأمم والقبائل أو الأماكن (سلامة، 2018، ص 10)، ويعرفها سيد القمني صاحب كتاب الأسطورة والتراث على أنها: "تسجيل للوعي الإنساني واللاوعي في نفس الوقت، وتشتمل على أحلام وانفعالات وتصورات وأخيلة، وفي نفس الوقت تشتمل على حقائق تاريخية يمكن أن تنكشف بوضوح إذا عرفنا كيف نفسرها بعد ربطها بشرطها التاريخي ومكانها في النسق المعرفي للزمان والمكان" (القمني، 1999، ص 25-26)

وتعرف أيضا على أنها قصة أو رواية أزلية تجسدها شخصيات أسطورية من البشر والحيوانات والأبطال والآلهة وأنصاف الآلهة، في الغالب تنتقل شفاهية بين الأجيال وقد تسجل أحيانا أخرى، تصاغ في شكل قوالب شعرية أو أدبية رفيعة، تهتم بقضايا وموضوعات محورية كبرى، مثل: الخلق والفناء وأصول الأشياء، والأحداث التاريخية الكبرى، لا مؤلف لها وإنما هي نتاج خيال جمعي تعبر عن تأملات الجماعة وخلاصة ثقافتهم، تنشأ الأسطورة حين يعجز الإنسان عن الإجابة على الأسئلة الدينية المحورية، أو حين يعجز على تفسير بعض الظواهر الطبيعية أو الإنسانية، أو حين ينهر بالأحداث والشخصيات التاريخية الكبرى. (Roman & Roman, 2010, p.5).

ظهرت الأساطير في بادئ الأمر في حضارات الشرق الأدنى القديم، خاصة في الحضارة المصرية مثل أسطورة أزوريس، وحضارة بلاد الرافدين مثل أسطورة الطوفان وأسطورة الخلق، والأمر نفسه بالنسبة لحضارات الشرق الأقصى مثل الحضارة الصينية والهندية القديمة، لكن تبقى أشهر حضارات الأساطير بامتياز هي الحضارة الإغريقية التي تعج بهذه القصص التي تجسدها شخصيات الأبطال والآلهة وأشهر أساطيرها على الإطلاق هي أسطورة حرب طروادة التي أوردها الشاعر هوميروس في ملحمة الشعرية "الإلياذة"، وهذه الأخيرة هي محل دراستنا في هذه المداخلة.

2. أسطورة حرب طروادة:

وردت أسطورة حرب طروادة الشهيرة في الملحمة الشعرية الإغريقية الموسومة بـ: الإلياذة، وقد اختلف الباحثون في الاسم الكامل لصاحب الإلياذة، لكن المتفق عليه هو أن هوميروس هو لقب أو كنية أطلقت على صاحب الإلياذة، ورجح بعض الباحثين أنه يقصد بها الرهينة لأن هوميروس قد وقع

في الأسر عدة سنوات، وهناك من قال إنه يقصد بها الكفيف لأنه هوميروس فقد بصره بعد أن تعرض لحادث أليم. (Homère, 2002, pp.4-5).

وقد اختلف المؤرخون أيضا في تاريخ القرن الذي عاش فيه هوميروس وقدموا العديد من الفرضيات، وهي تتراوح بين بداية القرن الثاني عشر والقرن السابع قبل الميلاد، ولقد جاءت سيرة هذا الشاعر على لسان الرحالة الإغريقي هيرودوت، الذي قال أن تاريخ هوميروس يسبقه بأربع قرون (Hérodote, 1850, II, 53)، حيث ولدته أمه كريثيس ابنة ميلانوفوس على ضفة نهر مليس في ضاحية أزميز، تربى في مدرسة المعلم فيموس زوج أمه، وورثها بعد وفاته بعد أن برع في شتى أنواع العلوم من اللغة والأدب والفلسفة والخطابة، وحين شب كثرت أسفاره في بلاد اليونان، خاصة بعد أن برع في الشعر والخطابة وذاع صيته في بلاد اليونان وأصبح الناس يحجون إليه من كل صوب وحذب، وخير ما جاد به هذا الشاعر هو الملحميتين الشعريتين الإلياذة والأوديسا اللتان ألهمتا الشعراء والأدباء والمثقفين منذ القديم وحتى عصرنا الحالي (البستاني، 1904، ص.ص.10-23).

سميت الإلياذة بهذا الاسم نسبة إلى الإلياس أو إلى إليوس "Ilius" عاصمة بلاد الطرواديين، وتحتوي هذه الملحمة على حوالي 16 ألف بيت قسمت إلى أربعة وعشرين جزء، لكل واحد منهم اسم معين، مثل "هيلين على الأسوار"، "معركة الآلهة"، لكنها في العموم تحكي وحدة موضوعية واحدة وهي غضب أخيل، أو حصار طروادة المشهور (باول، 2017، ص.141).

بدأت قصة الإلياذة من أعالي جبال الأولمب أين أقام الإله الأكبر للإغريق زيوس حفلا كبيرا دعا فيه كل الآلهة إلا الإلهة إيريس خوفا من خديعتها ومكرها لأنها إلهة اختصت بالخصام والعداوة، فحاولت هذه الانتقام فصنعت تفاحة ذهبية وكتبت فيها للأجمل، فتخاصمت الآلهة الأنثوية هيرا ربة القوة والسلطة وأثينا إلهة الحكمة وأفروديت ربة الجمال حول هذه التفاحة التي تراها كل واحدة منهم أنها من حقها، ولفك الخلاف قصدت الربات الثلاث جبلا شامخا يطل على البحر واتفقن أن يحكمن أول عابر يمر بهن، فأقبل باريس⁽¹⁾ أجمل رجال الأرض يجر أغنامه، فهرعت إليه الآلهة الثلاثة يطلبن وده فوعده هيرا بالقوة والسلطان على أن يختارها، ووعده أثينا بالحكمة، ووعده أفروديت بأن تزوجه أجمل نساء الأرض، فألقى التفاحة في يد أفروديت التي سحرتة بجمالها وغزلها، وحلّ عليه غضب أثينا وهيرا (خشبة، 2017، ص.ص.36-38).

أخبرت أفروديت باريس بحقيقته على أنه ابن ملك طروادة وأمرته بالعودة إلى بلاده وأسرتته ثم الإبحار إلى بلاد الإغريق ليحصل على الفتاة التي وعدته بها، إنها هيلينا⁽²⁾ أجمل نساء الأرض زوجة ملك إسبرطة ميلنوس، حطّ موكب باريس في إسبرطة واستقبله ملكها وأهلها، وتعرف باريس على هيلينا زوجة الملك التي وقع في حبها وهي كذلك، فقام بخطفها في غياب زوجها، فكان هذا الأمر هو سبب الحرب بين الطرواديين والإغريق الذين اجتمعوا كلهم تحت راية واحدة لمحاربة الطرواديين. (خشبة، 2017، ص.ص. 39-40)

دامت الحرب أكثر من عشر سنين، وظهرت في هذه الحرب شخصية أخيل أحد أقوى فرسان الإغريق الذي أحب فتاة من السبايا إلا أن أغامنون زعيم جيوش الإغريق قد انتزعها منها واستخلصها لنفسه، فغضب أخيل وانعزل من الحرب، وكان ذلك في صالح الطرواديين الذين نالوا من الإغريق بزعامة هيكتور ابن بريام ملك الطرواديين، لكن بعد ذلك عاد أخيل إلى القتال بعد وفاة صديقه المقرب، وقام بقتل هيكتور وهو ما رجح كفة الإغريق الذي حاصروا طروادة وقاموا بالدخول لها بعد استعانوا بحيلة حصان طروادة وقاموا بقتل باريس واسترجاع هيلينا (البستاني، 1904، ص 37-38).

وأضحى حصان طروادة رمزا يضرب به المثل في الخداع والمكر والذكاء في العالم عبر التاريخ، لأنها الحيلة التي تمكن بها الإغريق من دخول مدينة طروادة، وهي التي تعصت عليهم لسنوات طوال، حيث تظاهروا بالانسحاب من الحصار، وتركوا خلفهم حصان ضخما كانوا قد صنعوه من الخشب، وفي داخل هذا الحصان الخشبي اختبأ بعض الرجال من الإغريق، ولما جن الليل بدأت الإحتفلات داخل مدينة طروادة ضنا منهم أنهم نجحوا في كبر جماح الإغريق الذين انسحبوا، وقد حرك الفضول بعض الرجال الطرواديين نحو سر هذا الحصان الخشبي فهموا بإدخاله داخل الأسوار، فاستغل الرجال المختبئون داخل الحصان الفرصة وقاموا بفتح أسوار المدينة خفية للجيوش الإغريقية التي كانت تنتظر الفرصة بفارغ الصبر، فدخلوا وقتلوا أهلها واسترجعوا الفتاة المخطوفة منهم، وكانت هذه الحيلة هي آخر مغامرة في هذه الحرب وآخر حبك هذه الأسطورة (خشبة، 2017، ص 182-185)

3. هنريخ شليمان والإلياذة:

بقيت حرب طروادة أسطورة خيالية في أوروبا زمنا طويلا، وبقيت الإلياذة مجرد ملحمة شعرية يتغنى بها الشعراء والأدباء، ولا أحد كان يظن أن وراء هذه الملحمة ووراء الأسطورة حقائق تاريخية أو

أثرية يمكن أن تكشف أو تثبت، حتى القرن التاسع عشر ميلادي، أين ولد صبي في ألمانيا غير المفاهيم وغير مجرى التاريخ الأوروبي والعالمي بالكامل، هذا الصبي يدعى هنريخ شليمان وقد وردت المعلومات حول طفولته وحياته في سيرته الذاتية التي كتبها في حياته ونشرت بعد وفاته، وجاءت في شكل مذكرات عنونها بـ "حياتي"، ولخص فيها حياته منذ طفولته، تجارته، رحلاته، تنقيباته، واكتشافاته وصولاً إلى سنواته الأخيرة. (Schliemann, 1956, p.p.187-188)

ولد شليمان في 06 يناير من سنة 1822 في مدينة مشلنبورج "Mecklenbourg"، والده اسمه إرنست شليمان "Ernst Schliemann" كان قساً بروتستانتيًا، ويبدو أن الصبي منذ طفولته كان مولعاً بالأساطير والقصص الخرافية، حيث سرد في مذكراته جل القصص الغريبة التي كانت متداولة في المدينة التي قضى فيها طفولته، وقد ساهم والده في إذكاء هذه الروح، إذ كان مهتماً بتاريخ العصور القديمة وكان يحكي لشليمان على دمار بومبي والألعاب الأولمبية الإغريقية وحرب طروادة والقصص التاريخية الملهمة. (Schliemann, 1956, p.p.15-17)

تبدأ قصة شليمان مع الإلياذة في عيد ميلاده الثامن حين أهده والده نسخة من الإلياذة، فقرأها وتعلق بالشعر الهومري حد الجنون، وقرر أن يهب حياته كلها من أجل الكشف على حقيقة طروادة، وقد عبر عن ذلك في مذكراته حين قال: "كان أقراني يسخرون مني لأنني كنت أحدثهم في كل مرة أنني سأذهب يوماً ما وأستخرج ما تبقى من طروادة". (Schliemann, 1956, p.18)

انقطع شليمان عن الدراسة واشتغل بالتجارة من أجل أن يجمع المال لتحقيق حلمه المتعلق بطروادة، وقد مكّنه عمله من تعلم العديد من اللغات القديمة والحديثة، خاصة اللغة الإغريقية القديمة التي أصبح يتقنها مثلما يتقن لغته الأم اللغة الألمانية، وجل اللغات الأوروبية مثل الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والإيطالية وشيء من الهولندية التي تعلمها أثناء إقامته في أمستردام، إلى درجة أن أصبح شليمان محل إلهام بالنسبة لعلماء اللغة في تلك الفترة، حيث تم استضافته في المؤتمر العالمي لعلماء اللغة في أمريكا سنة 1869 لكي يستفيدوا من تجربته في تعلم اللغات القديمة والحديثة (Carvalho, 2012, p.234)

تزوج شليمان من روسية ومن امرأة يونانية تسمى صوفي وسمى ولديه على شخصيات الأسطورة (أجمنون، أندرومالك)، وفي سن الخامسة والعشرين اعتزل التجارة بعد أن جمع المال الكافي

وبداً في التنقيب بحثاً عن طروادة، وكان يحدد الأماكن انطلاقاً من الإشارات الموجودة في الإلياذة (ديورنت، 1968، ص.51)

كان أول رحلة لشليمان لطرودة سنة 1868، وكان ذلك بمثابة الحلم بالنسبة له حيث عبر عن ذلك في مذكراته وقال: "أخيراً أعطي لي أن أحقق حلم حياتي، وأخيراً أتيت لي الفرصة للذهاب إلى مسرح الأحداث الذي طالما أحببته وأحببت الأبطال الذين أثارتني مغامراتهم منذ كنت صغيراً، سأنتقل إلى هناك في أبريل 1868 مروراً بروما وبلاد البيلوبونيز" (Schliemann, 1956, p.47).

بدأ شليمان التنقيب في 11 أكتوبر من سنة 1871 في الطرف الشمالي من آسيا الصغرى وبالضبط في تلة حصارليك "Hissarlik"، بعد مفاوضات عسيرة مع السلطة العثمانية، وكان في كل مرة يستدل بالإشارات التي وردت في الإلياذة، حيث أشار إلى أن طروادة تقع في منحدر التل الذي يشرف على مدينة بونوباشي، ففي سفحها حسب ما يوجد ممر نحو السهل الذي ينحدر إلى الشمال غرب آسيا الصغرى، وقد تكلم مسافر فرنسي على منبعين في هذا المكان أحدهما ساخن والآخر بارد، وهو ما يتطابق تماماً ما ورد في الإلياذة التي تكلمت على جميلات طروادة اللاتي يجلبن الماء من منبعين أحدهما بارد والآخر حار. (Schliemann, 1956, p.56)

استأجر شليمان مجموعة من العمال وبدأ التنقيب في تلة حصارليك، ومر عام كامل من العمل في ظروف جوية صعبة دون أي نتيجة، وفي العام الثاني عثر أحد عماله فجأة على وعاء نحاسي ضخيم ضم تسعة آلاف تحفة مختلفة من الذهب والفضة، لكن شليمان قد أخفى هذا الكنز وأوقف العمل، وأخبر أصدقائه في أوروبا أنه كشف كنز بريام، لكن لم يصدق أحد، وفي العام نفسه رفعت عليه السلطة العثمانية قضية اختلاس وسرقة.

وتوجد صورة من ألبوم شليمان لزوجته الثانية صوفي وهي مزينة بذهب طروادة (الشكل رقم 2)، وقد عبر شليمان عن امتنانه لزوجته في مذكراته: "لقد انطلقت برفقة صديقتي زوجتي الأثينية صوفي شليمان ونفسها معجبة ومتحمسة لعمل هوميروس، وقد صبرت على كل الصعاب وقد شاركت في هذا الإنجاز العظيم" (Schliemann, 1956, p.66)

وسرعان ما توافد الأثريون بعد ذلك إلى الموقع مثل الحفريات التي أقامها الباحث الأمريكي بليجن C. Blegen من عام 1932 إلى عام 1938. وساهم الأمريكي في تحسين التسلسل الزمني

للمدينة، ثم حضي الموقع بحفريات أثرية ألمانية تركية بقيادة الباحث كورفمان "M. Korfmann"، من جامعة توبنغن، وكانت نتائج البحث الأولى مذهلة: حيث تمكنوا من إثبات أنه في السهل المحيط بالأكروبوليس، هناك امتداد لمسافة 1000 متر مدينة شاسعة محاطة بسور مثير للإعجاب، وهناك باحثين آخرين من أمثال فرشوا وبرونوف وغيرهم، الذين اكتشفوا موقع طروادة الذي يضم تسع طبقات ستراتيجرافية، وأضحى الإشكال فيما بعد أيهما طروادة الإلياس. (Godart, 2008, p.3)

وفي عام 1874 قرر شليمان أن يحقق ملحمة هوميروس من ناحية أخرى، وهي أن يثبت أن أجمنون ملك الإغريق كان شخصية حقيقية، فاستعان بالإشارات الموجودة في الإلياذة وبكتاب الرحلة لبوسيناس، وقد ورد في الإلياذة قصر هذا الملك كما أشار إليه شليمان في مذكراته: "في البيلوبونيز، في نهاية الوادي حيث تقع أرغوس، في المكان الذي تبدأ فيه الطرق عبور الجبال التي تؤدي إلى كورنثس الواقعة في مسينا، التي يوجد بها قصر الأمراء المليء بالكنوز"، وربما هو الشيء الذي أسال لعب شليمان، حيث بدأ التنقيب في مكان يسمى مسيني أو ميكيني "Mycènes" شرقي البيلوبونيز (Schliemann, 1956, p.87)، وكان النجاح حليفه هذه المرة أيضا واكتشف العديد العماير والتحف والمقابر (الشكل رقم 03)، وقد أرسلت في تلك الوقت رسالة عاجلة إلى ملك اليونان يخبره أنه وصل إلى قبر أجمنون (ديورنت، 1968، ص.53).

وعلى بعد ساعات من مسيني وليس بعيدا على الشاطئ على سهل أرغوليس الواسع تقع مدينة تيرنث "Tirynthe" التي تقول الأساطير الإغريقية أنها مكان مولد أكبر البطل الأسطوري اليوناني هيراكليس، وقد وصف هوميروس هذه المدينة وتغنى بأسوارها العملاقة وبقصرها الجميل، وهو الأمر الذي حفز شليمان للتنقيب في هذه المدينة، ولقد حصل على الترخيص من السلطات اليونانية في عام 1884 من أجل التنقيب في المدينة، واستمر الحفريات مدة سنة كاملة، وكانت نتائجها في المتوقع حيث كشف سليمان على الأسوار العملاقة المحاطة بالمدينة وعلى الأبراج الضخمة التي كانت تحميها، بالإضافة إلى القلعة التي كانت تتوسط المدينة والعديد من المباني والمعالم والتحف الأثرية النادرة التي كانت تعج بها المدينة، لكن يبقى أجمل ما اكتشفه شليمان في تيرنث هو قصر الملك الذي تغنى به هوميروس في الإلياذة، وبالفعل أكد شليمان أن هذا القصر يستحق الإشادة نظرا لتصميمه المعماري الفريد من نوعه (نظام المتاهة)، وجدارته المزخرفة والأنيقة، وغرفته المهيبة. (Schliemann, 1956, p134-134)

وفي 1886 سمع أن أحد المواطنين من جزيرة كريت قد وجد آثار قديمة في أحد التلال من القرب من عاصمة كريت، فذهب هناك وقرر التنقيب لأن هذه الجزيرة كثيرا ما تغنى بها الشاعر هوميروس، حيث وصفها في إلياذته قائلا: "ثمة في البحر الواسع، جزيرة اسمها كريت، رائعة ومعطاء وغاصة بالسكان، تلتحق بها ثلة من المدن الجميلة، وسكانها لا يتكلمون اللهجة ذاتها" (اللامي، 2019، ص433)، ربما هذه الأبيات وأبيات أخرى تغنت بهذه الجزيرة الرائعة دفعت هنريخ شليمان للتفاوض مع السلطات التي تحكم المدينة من أجل شراء تلك الأراضي التي وجدت فيها البقايا الأثرية لكن مفاوضاته باءت بالفشل، ورحل غاضبا من هناك (مكاوي، 1980، ص.25).

استغل عالم الآثار البريطاني آرثر إيفانز "A. Evans" هذه المحاولة التي قام بها شليمان وبدأ بالتنقيبات في الموقع نفسه سنة 1895، وكانت النتائج التي توصل إليها هذا العالم غير متوقعة، حيث كشف أن هذه الجزيرة تخبأ في أعماقها حضارة عريقة كانت قائمة بحد ذاتها، والتي سميت فيما بعد بالحضارة الكريتية على اسم المدينة أو الحضارة الميناوية على اسم قصر مينوس الشهير الذي اكتشفه إيفانز في مدينة كنوسوس أشهر مدن الجزيرة، وقد قسم تاريخ هذه الحضارة إلى ثلاث عهود: قديم، متوسط، متأخر، وتمتد من منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد إلى غاية منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، وأكدت الحفريات أن هذه الحضارة هي المنهل الأول التي قامت عليه الحضارة الإغريقية فيما بعد، وذلك لتشابه الأبعاد الفنية والمعمارية والثقافية التي تميزت بها كريت وبين ما راج مستقبلا في أثينا وإسبرطة والمدن الهيلينية. (اللامي، 2019، ص431-433)

توفي هنريخ شليمان سنة 1890 بعد أن حقق حلمه وأكثر من ذلك بكثير، حيث اتفق الباحثون والمؤرخون أن شليمان حقق فتحا جديدا في علم التاريخ والآثار، فقبل شليمان كان تاريخ الإغريق والأوروبيون بصفة عامة يبدأ مع الألعاب الأولمبية سنة 776 ق م على أقصى تقدير، ولكن شليمان غير المفاهيم والتواريخ وأضحى تاريخ بلاد الإغريق قد إلى يصل الألفية الثالثة قبل الميلاد، وقد شبه ول ديورنت صاحب كتاب قصة الحضارة شليمان بكولبس الذي مات ولم يكن يعرف أنه اكتشف أمريكا، فالشيء نفسه حصل لشليمان الذي كان صاحب الفضل في اكتشاف الحضارة الميكينية والحضارة الميناوية في كريت، ومات وهو لا يعلم ذلك (ديورنت، 1968، ص.53).

كما أن تجربة شليمان فتحت بابا كبيرا للباحثين في علم التاريخ من أجل البحث والدراسة وإعادة في المسائل والحوادث التاريخية التي وردت في النصوص الأدبية الكلاسيكية خاصة الإغريقية

واللاتينية منها، والتي كانت تصنف في خانة الأساطير والمبالغات، فصدرت الكثير من البحوث والمقالات حول موضوع الأسطورة بين الخيال والحقيقة التاريخية، ودعا الكثير من الباحثين من التعمق والتدبر في القصص الأسطورية لأنها تعج بالحقائق التاريخية التي يمكنها أن تغير الكثير من المفاهيم وتغير حتى شكل الكرونولوجية التاريخية المعروفة (Giovannini, 1995, p.176)

تبقى تجربة هنريخ شليمان مثالا رائعا على ذلك الربط الجميل بين النصوص الأدبية الكلاسيكية وبين الحقائق الأثرية، وقد ذكر التاريخ العديد من الأمثلة التي تؤكد مشروعية هذا الربط، فقد تجندت العديد من البعثات الأثرية بحثا عن حقائق بابل المعلقة التي أشارت لها النصوص الأدبية (أحمد حسين، 2020، ص3)، وقد كُشفت العديد من المعالم والكنوز في بلاد الإغريق بفضل الإشارات التي قدمتها النصوص الإغريقية القديمة، ويعرف علماء الآثار تماما أن لكل حقيقة أثرية إشكالية في التفسير، وتبقى النصوص الأدبية في كثير من الأحيان حلا لهذه الإشكالية.

ألهمت قصة هنريخ شليمان مع طروادة العديد من الكتاب والروائيين ورواد الفن والسينما نظرا لما تحمله هذه التجربة من شغف ونجاح كبير، وربما من أبرز الأعمال نذكر مسرحية برونو باين سنة 1982، ورواية الكنز اليوناني للروائي إيرفينغ "Irving" التي صدرت عام 1975، وكتاب سقوط طروادة لبيتر أكرويد "Peter Ackroyd" الذي ألفه سنة 2008، وكتاب قناع طروادة بقلم ديفيد جيبينز "David Gibbins" الذي نشر سنة 2011، والفلم السينمائي الذي تم إنتاجه سنة 2007 بعنوان مدينة الكنز المفقود. (Lechevallier, 2024, p.2)

خاتمة:

من خلال ما سبق ذكره في ثنايا هذا المقال يمكن أن نصل إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات نلخصها في النقاط التالية:

- تعج النصوص الأدبية الكلاسيكية القديمة بالأساطير، وهذه الأخيرة بالرغم مما تحمله من الخرافات والمبالغات إلا أنه قد تحمل بعض الحقائق التاريخية والأثرية التي يجب أن نراها بعين الحسبان، وأسطورة طروادة التي وردت في الملحمة الشعرية الموسومة بالإلياذة لصاحبها الإغريقي هوميروس، هي أصدق مثال على هذا الطرح.

- حقق هنريخ شليمان في القرن التاسع عشر فتحاً جديداً في علم الآثار واكتشف طروادة وميسنا وقصر تيرنت وهمّ باكتشاف كريت والحضارة الميناوية، وأضحى أشهر العلماء في التاريخ في هذا تلك الفترة، وهذا كله بفضل إيمانه بالنص الأدبي وماذا يمكن أن يحتويه، وجسد بامتياز عبارة "من النص الأدبي إلى الحقيقة الأثرية".
- يمكن أن تجتمع الأساطير والحقائق الأثرية في نقطة تلاق، فالأساطير قد تحتوي على بذور من الحقائق التاريخية والعلمية، حيث تعكس معتقدات وتفسيرات الناس من حولهم بطرق شكلت جزءاً من تراثهم الثقافي، وعلى الجانب الآخر تقدم الحقائق الأثرية دليلاً ملموساً على تفاعلات الحضارات المختلفة وتطورها عبر العصور، وبالتالي يمكن أن تساهم الأساطير في فهمنا للثقافات القديمة وتعزيز تفاعلنا مع التاريخ، بينما تساعد الحقائق الأثرية في توثيق تلك الحضارات وتوسيع فهمنا لتطور الإنسان عبر العصور.
- إن العلاقة بين علم التاريخ وعلم الآثار هي علاقة تكاملية، حيث أن التاريخ يوفر للآثار القرائن الإخبارية، والآثار توفر للتاريخ المصدر المادي للمعلومة الذي لا يقبل الشك، لذا وجب على كل باحث أثري أن يستعين بالنصوص الأدبية في بحثه لمحاولة تفسير الحقائق المحاطة بمختلف المعالم الأثرية ومعرفة تاريخها وأغراضها.

الملاحق:

شكل 1

صورة لهنريخ شليمان التقطت سنة 1880



المصدر: (Louis, 2020, p10)

شكل 2

صورة لزوجة سليمان صوفي وهي مزينة بذهب طروادة



المصدر: (Louis, 2020, p39)

شكل 3

القناع الشهير لأجاممنون وجده سليمان بموقع ميكاني



المصدر: (Louis, 2020, p45)

الشروحات:

- (1) هو ابن هيكوبا وبريام ملك طروادة، حين كان في بطن أمه رأت في المنام أن النار تخرج من بطنها، فاستشارت الكاهن الذي قال لها أن الصبي الذي في بطنها سيجلب الدمار لطروادة، فقامت بالتخلص منه ورمته في الجبل، ووقع في أيدي أحد الرعاة الذي قام بتربيته حتى أصبح شابا، وبقي يرعى الغنم حتى تصادف مع الآلهة الأثنية الثلاثة اللاتي تخاصمن على التفاحة.
- (2) قيل إنها من نسل الآلهة، فتن بها كل من رآها، تقدم لخطبتها الكثير من نبلاء وأمراء الإغريق لكنها رفضت، لكنها في الأخير قبلت بملك إسبرطة، وكانت هي سبب حرب طروادة.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات / الكتب:

1. بول، باري بي. (2017)، هوميروس، ترجمة محمد حامد درويش، مؤسسة هنداوي، مصر.
2. البستاني، سليمان. (1904)، إلياذة هوميروس، مطبعة الهلال، مصر.
3. خشبة، درني. (2017)، قصة طروادة، مؤسسة هنداوي، مصر.
4. ديورنت، ول. (1968)، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط 6، دار المعرف، القاهرة.
5. سلامة، أمين. (2017)، من الإلياذة إلى هوميروس، مؤسسة هنداوي، مصر.
6. سلامة، أمين. (2018)، الأساطير اليونانية والإغريقية، مؤسسة هنداوي، مصر.
7. القمني، سيد. (1999)، الأسطورة والتراث، ط3، المركز المصري لبحوث الحضارة، مصر.
8. مكاي، فوزي. (1980)، تاريخ العالم الإغريقي وحضاراته، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب.
9. Homère, (2007), L'Iliade, trad par: Leconte de Lisle, éd: Magnard, Paris
10. Hérodote, (1850), Histories d'Hérodote, IV, trad Parlarcher charpentier, éd librairie éditeur, Paris.
11. Louis, A. (2020), Les vies rêves d'Heinrich Schliemann, Éditions : EHESS, Paris.
12. Schliemann, H. (1956), Ma vie, trad par clair pouzin, éd: Corrèa, Paris.

الأبحاث في المجالات العلمية / المقالات:

13. اللامي، دعاء محسن علي، (2019)، الحضارة الكريتية ما بين البعد الأسطوري والتنقيب الأثري، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العراق، العدد 69، ص-ص 470-422.
14. أحمد حسين، أثير، (2020)، العراق القديم ومعضلة عمارة الجنائن المعلقة ما بين الواقع الأثري وخيال المؤرخين القدماء، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، عدد 75، ص-ص 32-03.
15. Elizabeth Carvalho, E. (2012), Heinrich Schliemann, the linguist, London, 24, p-p 234-237.
16. Giovannini, A. (1995), La guerre de Troie entre mythe et histoire. In: Ktèma : civilisations de l'Orient, de la Grèce et de Rome antiques, Paris, N°20, pp. 139-176.
17. Godart, L. (2008), La guerre de Troie au regard de l'histoire, chrome-extension://efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/https://www.clio.fr/bibliotheque/pdf/pdf_la_guerre_de_troie_au_regard_de_l_histoire.pdf, (21/04/2024).
18. Lechevallier, C. (2024), Mettre en jeu la mémoire de Troie Heinrich Schliemann, Bruno Bayen, Antoine Vitez, chrome-extension://efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/http://www.crlc.paris-sorbonne.fr/pdf_revue/revue14/7_lechevalier_article.pdf, (17/05/2024).

مواقع إلكترونية: